مقدمة

إن كتاباً مثل هذا الكتاب كان ينبغي أن يكون من تأليف جو تيت Jo Tait من الجامعة المفتوحة. فبعد أن شاركت في إعداد كتاب عن إحدى هواياتها التي شغفت بها، وهي التعلم المستقل (Tait and Knight, 1996) أرادت أن تؤلف كتاباً عن العمل التعليمي في قطاع التعليم العالي من منظور شخصي بحت، وكان العنوان Inspiring Higher Education. لكن الكتاب لم ير النور والسبب في ذلك أفضلية كانت تعطى لأعمال لها مردودها الجيد، على شكل عقود قصيرة الأجل لمشروعات لها صفة الاستعجال. وقد تحدثت إليها مراراً عن ما يمكن أن تعنيه كلمة «ملهم» Inspiring وكيف ولمن. غير أنني شعرت بحماس شديد لكتاب يتضمن ما هو أكثر من مجرد تلميحات وإرشادات تعطى بخصوص الممارسة وحاولت أن ألقي نظرة متكاملة على عمل المدرسين التعليمي. وعندما تبين لي أن ما كتبته هذه الزميلة عن «المحاضرين المشاركين» في الجامعة المفتوحة (مثل Tait, 2000) قد يقضي على أي فرصة لإنجاز تأليف كتاب Inspiring، اقترحت عليها تأليف كتاب قد يكون مشابهاً له وفي الوقت عينه يختلف عنه. وهذا ما كان. وغني عن القول إن صوتي ليس صوتها. فهي تود أن تقول أشياء لا أستطيع قولها ولست في موقع يجعلني أقول بعض ما أفعله. وبالرغم من ذلك كله يوجد ذلك الإحساس بأنها هي المؤلف وأنا الكاتب.

لقد كان جون سكلتون John Skelton من مطبعة الجامعة المفتوحة داعماً لنا منذ أول لقاء جمعه بجو تيت وحتى اقتراحي هذا المفصل. ولولا دعمه ومساندته ما رأى هذا الكتاب النور. أما جون كووان فقد كان واحداً من هيئة الحكام في مطبعة الجامعة المفتوحة، وهو كاتب مرموق (Cowan, 1998)، وقد أظهر حماساً شديداً في دعمه ومساندته لي حتى جعلني أعيد كتابة صفحات عديدة بأسلوب أفضل، والحق يقال لقد كان ذلك أكثر مما أستحق. وكذلك كان دافيد باوم David Baume الذي أقدر عالياً نصائحه وآراءه السخية.

وجدت المتعة في الكتابة إلى جانب بول تراولر Paul Trowler، أحد الزملاء من جامعة لانكاستر، الذي لم يسهم مساهمة مباشرة في هذا الكتاب إلا أن أسلوب الكتاب قد تأثر كثيراً بتلك الكتابات التي أنجزناها سوية وكذلك العمل الذي في نيتنا إنجازه. والحال ينطبق أيضاً على مانتز يورك Mantz Yorke من جامعة جون مورز بليفربول. إن له أثراً كبيراً في صفحات هذا الكتاب وربما لا يدرك ذلك هو شخصياً لكنه أثر عميق جداً.

ولا بد من القول إن الوقت الذي قضيته في العمل في مكتب تطوير التعليم بمدينة هاليفاكس، نوفاسكوتيا، التابع لجامعة دالهوسي Dalhousie University، وكذلك الوقت الذي قضيته فيما بعد زميلاً لـ Royal Bank بجامعة McGill بمدينة مونتريال قد أثار تفكيري وشجعه ثم اختبره عندما نظمت دورات لتطوير المعلمين وعملت على تعميق معرفتي بالمؤلفات المنشورة في أمريكا الشمالية والممارسات هناك. وهذا ينطبق أيضاً على الزمن الذي قضيته في جامعات هونغ كونغ. ففي تلك المناسبات عمل كل من ألينوش سارويان ورون سميث، وسينثيا ويستون وهيلين ونغ وألان رايت على وضعي أمام التحديات ومساعدتي على التفكير بصورة أفضل.

إن مشاعر التقدير التي أتحدث عنها هي نظرة تمهيدية لبعض الأفكار التي يتضمنها هذا الكتاب. وعلى وجه الخصوص أهمية الأصدقاء الذين منهم يتعلم المرء ويتحدث إليهم ويشعر بالراحة في صحبتهم، وأهمية الزمالة والتعاون، بصرف النظر عن المسافات، ولعل الأهم في هذا كله ذلك المثل القائل إن للمشاعر أهميتها عند الكتابة، وأقول أيضاً، إن لها أهميتها أيضاً في التعليم.